

الحلقة التاسعة

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

يوسف والمسيح

نواصل في لقاء اليوم دراستنا لأحداث سفر التكوين ، الذي هو أول أسفار الكتاب المقدس لنكتشف ما تشير إليه من معان ورموز . ولنعرف المزيد عن خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان .

وكنا قد تأملنا في اللقاءات السابقة بسيرة إبراهيم الخليل أبي المؤمنين . فتحدثنا عن الإيمان الذي ميّز سيرة إبراهيم كلها ، وعن وعد الله له أنه في نسله أي في المخلص المسيح ، ستتبارك جميع أمم الأرض . وتأملنا أيضا بعهد الله مع إبراهيم أنه سيصبح أبا لجمهور من الأمم ، أي أبا لكل المؤمنين بالمخلص المسيح . وتحدثنا في اللقاء الماضي عن امتحان الله لإبراهيم بتقديم ابنه إسحق ذبيحة ، وكيف أطاع إبراهيم الله ووثق به .

وتبين لنا أن هذه الحادثة تشير إلى محبة الله العظمى لنا نحن البشر . والتي تجلّت بإرسال المخلص المسيح الذي هو كلمة الله الأزلي ، ليكون هو الخروف أو الفدية التي يقدمها الله للتكفير عن ذنوبنا .

أما اليوم فسنتنقل للتأمل بسيرة شخصية أخرى من شخصيات سفر التكوين ، ألا وهي سيرة يوسف الصديق . ولنكتشف منها كما اعتدنا الرموز والمعاني لخالص الله للبشر عن طريق المخلص المسيح .

كان يوسف أحد أبناء يعقوب الإثني عشر ولقد حقد عليه إخوته بسبب محبة والدهم الشديدة له . وزاد حقدهم عليه عندما رأى حلمين استنتج منهما إخوته ، أنه سيملك عليهم وسيسجدون له . وهكذا تأمروا عليه وطرحوه أولا في بئر . ثم باعوه إلى قافلة من الإسماعيليين كانت متجهة نحو مصر بعشرين من الفضة . الذين بدورهم باعوه إلى فوطيفار رئيس الشرط ، أي رئيس الشرطة .

وكان الرب مع يوسف ، فوكله فوطيفار على كل بيته . وعندما حاولت امرأة فوطيفار إغراءه ، رفض يوسف بكل عناد وإباء قائلا : كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله . فدفست امرأة فوطيفار على يوسف زورا لزوجها ، الذي وضعه في السجن مع أسرى الملك .

وهناك في السجن فسّر يوسف حلم رئيس السقاة وحلم رئيس الخبازين ، فحصل كما قال لهما . إذ أعاد فرعون ملك مصر رئيس السقاة إلى عمله في القصر ، بينما قطع رأس رئيس الخبازين . وبعد سنتين رأى فرعون حلما، لم يستطع أحد تفسيره . فتذكر رئيس السقاة يوسف، الذي استدعاه فرعون من السجن .

فسّر يوسف الحلم لفرعون قائلا : " .قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هوذا سبع سنين قادمة شبيعا عظيما في كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا ، فيئسى كل الشبع في أرض مصر ويُتلف الجوع الأرض . ولا يُعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديدا جدا ... فالآن لينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر . يفعل فرعون فيوكل نظارا على الأرض ويأخذ خمس غلة أرض مصر في سبع سني الشبع . فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحا تحت يد فرعون طعاما في المدن ويحفظونه . فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر . فلا تنقرض الأرض بالجوع . (تكوين ٤١: ٢٨-٣٣، ٣١-٣٦)

فسّر فرعون جدا من يوسف ، وقال لعبيده : هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ ثم قال ليوسف : أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر . أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر .

وحصل كما قال يوسف تماما . فأنتت أولا سنوات الشبع السبع ، ثم تلتها سنوات الجوع . وعمّ الجوع جميع البلدان ، حتى إن إخوة يوسف أتوا ليشتروا طعاما وسجدوا له . فعرفهم وأتهمهم بالتجسس على الأرض . لكنه عاد وعرفهم بنفسه ، عندما أتوا إليه في المرة الثانية . ثم ذهبوا وأحضروا والدهم يعقوب وعائلاتهم ، بناء على طلب يوسف . هذه باختصار سيرة يوسف الصديق .

توجد أوجه شبه عديدة بين سيرة يوسف الصديق وسيرة المخلص يسوع المسيح . فكما حقد إخوة يوسف عليه وتأمروا لقتله ، هكذا حقد رجال الدين اليهود على يسوع المسيح وتأمروا لإهلاكه عدة مرات .

وكما باع إخوة يوسف أخاهم بعشرين من الفضة ، هكذا باع يهوذا الإسخريوطي المسيح معلّمه ، إلى رجال الكهنة اليهود بثلاثين من الفضة ، وأسلمهم إليه . الذين بدورهم أتوا بالمخلص المسيح مقيدا إلى بيلاطس الوالي الروماني ، وقد صمموا على قتله .

فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة وقادة الشعب لكي يعرف منهم علّة شكواهم عليه . وكتب البشير لوقا في إنجيله قائلا : " فناداهم أيضا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع . فصرخوا قائلين : أصلبه أصلبه . فقال لهم تالثة فأبي شر عمل هذا ؟ إنني لم أجد فيه علّة للموت فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجّون بأصوات عظيمة طالبين أن يُصلب . فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة . فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم . (الإنجيل بحسب بشارة لوقا ٢٣: ٢٠-٢٣)

لكن وكما قال يوسف لإخوته ، بعد أن أتوا إليه : " أنتم قصدتم لي شرا أما الله فقصد به خيرا لكي يفعل كما اليوم . ليُحي شعبا كثيرا . " (تكوين ٥٠: ٢٠) هكذا قال الرسول بطرس بعدئذ لليهود عن المسيح : " هذا أخذتموه مُسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه . الذي أقامه الله ناقضا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكنا أن يُمسك منه . " (أعمال الرسل ٢: ٢٣ و ٢٤) ثم أضاف الرسول بطرس قائلا: " فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك. " (أعمال الرسل ٢: ٣٢) أجل، لقد أدى تآمر إخوة يوسف عليه ، إلى بركة الله له وللآخرين ، لا سيما للشعب في مصر، وارتقائه في نفس الوقت إلى أعلى المستويات. وهو الذي حصل بالضبط مع المخلص يسوع المسيح .

إن موت المسيح على الصليب نتيجة لتآمر رؤساء اليهود عليه ، حقق خطة الله المرسومة من نحوه . فلقد مات المسيح لكي يكفر عن ذنوبنا نحن البشر الخطاة ، وصار بالتالي خلاصا وبركة لجميع الشعوب . وليس هذا فحسب ، بل أقامه الله من بين الأموات غالبا منتصرا . وصار المسيح عن جدارة واستحقاق ملك الملوك ورب الأرباب . ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الأب ، أي في مركز القوة والسلطان .

ولهذا كتب الرسول بولس إلى المؤمنين في فيلبي عن المسيح قائلا : " وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه إسما فوق كل إسم . لكي تجثو بإسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض . ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب . " (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٢: ٨-١١) فهل هناك أعظم من هذا المركز الذي وصل إليه المسيح ؟

ولقد تتبأ النبي دانيال وقبل مجيء المسيح بمئات السنين عن هذا الأمر ، فكتب قائلا : " كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض . " (دانيال ٧: ١٣ و ١٤)

نعم، لقد أصبح المخلص المسيح بموته الكفاري وقيامته المجيدة ، ملك الملوك ورب الأرباب، وبدأ ملكوته الأبدي الذي لن ينقرض . ويجثو له الآن ويتعبد كل المؤمنين من جميع الأمم والشعوب .

وكما انتصر يوسف على التجربة المرّة من قبل امرأة فوطيفار ، هكذا انتصر المخلص المسيح على التجربة، عندما جُرب من قبل إبليس ثلاث مرات . ورفض المسيح الخضوع للشيطان ، منتهرا إياه . وقال له في التجربة الأخيرة الثالثة : " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. " (الإنجيل بحسب بشارة متى ٤: ١٠)

وكما أنقذ يوسف مصر وإخوته من مجاعة كبرى محتملة ، هكذا المخلص المسيح بكونه خبز الحياة ، يملأ قلب كل إنسان يأتي إليه بالشبع الروحي الحقيقي . وينقذه بالتالي من الجوع والعطش الروحيين . وها هو المسيح يقول عن نفسه : " أنا هو خبز الحياة . من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً . " (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ٦: ٣٥)

تلك هي بعض المقارنات بين سيرة يوسف الصديق والمخلص المسيح . فهل تراك تؤمن صديقي بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب ، لكي يمنحك الغفران والخلود ؟ وهل تعلم أن المخلص المسيح هو الوحيد القادر أن يملأ قلبك بالشبع الروحي الحقيقي ، ويروي غليلك بمائه الحي ؟ إن العالم المادي لا يقدم لنا سوى السراب والأوهام ، والسعادة المزيفة المؤقتة . واعلم أيضاً أن المخلص المسيح هو الملك الحقيقي الذي ستجتو باسمه يوماً ما كل ركلة ، وسيعترف كل لسان أنه رب لمجد الله الأب . فهل تراك تتخذة ملكاً على حياتك منذ الآن ؟